﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ ٧٠﴾ [البقرة: 70]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الآيـة تَتِـمَّـة لما سبق من لَجاجة بـنـي إسـرائـيـل مع نبيِّهم وكثرة سـؤالـهـم عـن صفات البقرة

لـمَّا أمر موسى عليه السلام قومه أن يذبحوا بقرة؛ ليَعلموا القاتِل، وأجابهم: أنَّ الله يأمرهم أن يذبحوا بقرة دون أن يُحدّد لهم صفاتها، وشدّدوا على أنفسهم، ولم يُقدِّروا الله حقَّ قَدْرِه، ولم يُعَظِّموا رسولَهم، بيَّن هنا فرْطَ لجاجتهم، وشدّةَ سفاهتِهم، وسوءَ أدبهم؛ فلم يكتفوا بما ذُكر لهم من أوصاف، بل سألوا عن بقيَّة صفاتها في صورة السّؤال عن ماهيّتَها، في قوله تعالى ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾، فأعادوا طلبهم سؤالا عن حقيقتها لتشابه البقر عليهم[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿قَالُواْ﴾: من القول، وهو الكلام على التّرتيب، أو اللّفظ الموضوع لمعنى[2]، و"القولُ منَ النّطقِ. يُقالُ: قالَ يقولُ قولًا. والمِقوَلُ: اللِّسانُ، ورجلٌ قُوَلَةٌ وقوَّالٌ: كثيرُ القولِ"[3]، ويُطلق القول على الكلام أيضًا[4]، وهناك استعمالات أخرى للقول كالاعتقاد، والدّلالة على شيء، والعناية الصّادقة بالشّيء، وكذلك الحدّ والإلهام، ومن أظهر استعمالات القول: "أن يكون للمركَّب من الحروف المُبرَز بالنّطق، مفردًا كان أو جملة"[5].

2) ﴿ٱدۡعُ﴾: جذره اللّغويّ (دعو)، والأصل في معناه"أَن تُمِيلَ الشَّيءَ إليك بصوتٍ وكلامٍ يكونُ منك. تقولُ: دَعَوتُ أَدعُو دُعاءً. والدَّعوةُ إلى الطَّعام بالفَتح، والدِّعوَةُ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 1/469.
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (قول).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قول).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (قول).
(5) الرّاغب، المفردات: (قول).

في النَّسب بالكَسر"[1]، "وكلّ ما عُدِّيَ بـ (إلى)، أو بـ(اللّام) فهو من الدّعوة إلى دين أو عمل، وبعض ما هو بهذا المعنى مُعَدًّى بنفسه"[2].

والدّعاء هنا بمعنى السّؤال، يُقال: دَعَوتهُ: إذا سألتَه، وإذا استغثتَه.

3) ﴿رَبَّكَ﴾: اسمٌ مُضعّفٌ ثُلاثيّ (ربّ)، والجذرُ اللّغويّ منهُ (ربب)، والرّبُّ "الملكُ والسّيّدُ والمصلحُ والصّاحبُ، وكلّها معانٍ متقاربةٌ، ولا يُقالُ مُطلقًا إلاّ للباري تعالى"[3]، وهو أيضًا "الرَّبُّ في الأصل التّربيةُ، وهو إنشاءُ الشّيءِ حالاً فحالاً إلى حدّ التّمام، يُقالُ: رَبَّهُ، ورَبَّاه ورَبَّبَهُ"[4].

والرّبُّ -بالفتح: المربِّي (فَعْل بمعنى فاعِل- ويشمل الإصلاح والرعاية)، كما يطلق على المدبِّر، والقيِّم، والمُنعِم من معنى الجمع في صورة حَوْزٍ مع الإصلاح. ووصفه ﷻ بالرَبِّ يشملُ كلّ هذه المعاني، فهو المنشئ بدءًا والمربِّي، والمنعِمُ، والمالِك، والجمهور الأعظم من هذا التّركيب في القرآن هو (ربّ)، كقوله تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2][5].

4) ﴿يُبَيِّن﴾: الباءُ والياءُ والنّونُ، لهُ أصلٌ في لُغة العرب، بمعنى البُعد والانكشاف والظُّهور والتّوضيحُ، من بيّنَ يُبينُ تبيينًا، وبانَ الشَّيءُ وأَبانَ إذا اتَّضحَ وانكشفَ. وفُلانٌ أَبْينُ من فُلانٍ؛ أَي: أَوضحُ كلامًا منهُ[6].

و"معنى يُبَيِّن لنا: يُعلِمُنا ما هي، لأَنَّ التَّبيينَ يَلزَمُهُ الإعلامُ..."[7].

5) ﴿ٱلۡبَقَرَ﴾: جذره اللّغويّ (بقر)، وهو اسم جنس جمعيّ، وهو: ما يفرق بينه وبين واحدِه بالتّاء، فيقال: (بقَر وبقرة)، وله أصلان في المعنى، ورُبَّما جَمَعَ ناسٌ بَينَهُما، وزعمُوا أَنَّه أَصلٌ واحدٌ، وذلك البَقرُ. والأصلُ الثَّاني منه: التَّوَسُّعُ في الشَّيءِ، وفَتحُ الشَّيءِ[8].

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (دعو).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (دعو).
(3) السّمين، عُمدة الحفّاظ: (ربّ).
(4) الرّاغب، المفردات: (رب).
(5) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصّل: (ربب).
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (بين).
(7) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/405.
(8) ابن فارس، مقايس اللّغة: (بقر).

"البَقَرُ واحدَتُه بَقَرَة... واشتُقّ من لفظه لفظٌ لفعله، فقيل: بقر الأرض، أي: شقّ"[1] وسمّي البقر بهذا الاسم؛ لأنّه يبقر الأرض، ويشقّها للحراثة[2]، أو لاتّساع جوفها بالنّسبة إلى الجوازئ من الظّباء[3]

6) ﴿تَشَٰبَهَ﴾: من الجذر اللّغويّ (شبه)، والأصل اللّغويّ له "يدُلُّ على تشابُه الشّيء، وتشاكُلِه لونًا ووَصفًا. يقال: شِبْه وشَبَه وشبيه. والشّبه من الجواهر الّذي يشبه الذّهب. والمُشبِّهات من الأمور: المُشْكِلات. واشتبه الأمران، إذا أشكَلَا"[4]، أمّا المعنى العام للشّبه فهو "في المماثلة من جهة الكَيفيّة كاللّون والطّعم، وكالعدالة والظّلم... والمُتَشابِهُ من القرآن ما أَشكلَ تفسيرهُ لمُشابهته بغيره، إمّا من حيث اللّفظُ، أو من حيث المعنى"[5].

ومعنى تشابه في الآية: "جِنسُ البقر تشابه، أي: التَبَسَ واشتَبَهَ أمرُهُ علينا؛ فلا نهتدي إليه"[6].

7) ﴿شَآءَ﴾: جذره اللّغويّ (شيأ)، وأصله من الشّيء، "والمشيئة: الإرادة، وقد شئتُ الشّيء أشاؤُه"[7]. "والتّركيب رغم غزارة مفرداته الّتي في القرآن ليس فيه ما يخرج عن الفعل (شاءَ) ماضيه ومضارعه بمعنى (أراد)"[8].

والفعل هنا يدُلُّ على "مشيئة الله إلى كلّ ما يذكر من مستقبل الأمر"[9] مِصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: 23- 24]؛ فإنّ المسلم يجب أن يربط قابل أموره بمشيئته تعالى.

8) ﴿ٱللَّهَ﴾: اسم الجلالةِ، عَلَمٌ على المعبودِ بحقّ، وهو مُشتقّ على الصّحيحِ وليس

(1) الرّاغب، المفردات: (بقر).
(2) الآلوسّي، روح المعاني: 1/289.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (بقر)، والجوازئ من الظّباء: الّتي جَزَأت، أي: استغنت بالرَّطْب من المرعَى عن الماء.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شبه).
(5) الرّاغب، المفردات: (شبه).
(6) البغويّ، معالم التّنزيل: 1/108.
(7) الجوهريّ، الصّحاح: (شيأ).
(8) جبل، المعجم الاشتقاقي المؤصَّل: (شيأ).
(9) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/227.

جامدًا؛ فإنّ أسماء اللّه تعالى أعلامٌ وأوصافٌ باتّفاق أهل السّنّةِ والجماعةِ[1]، ولازمُ ذلك أنّها مُشتقّة[2]، إذِ الجامدُ لا وصفَ لهُ، وقيلَ: إنّ "أصلَهُ الإلاهُ؛ فحُذفتِ الهمزةُ، وأُدغمتِ اللّامُ في اللّامِ، فصارَ اللّه"[3] لكثرةِ دورانِه على الألسنة[4]، وأُدغمتِ اللّامُ في مثلِها، وفخّمَت تعظيمًا للّهِ تعالى[5] والتّرقيقُ بعدَ الكسر؛ لأجل التّخفيف لا لسلب التّعظيم.

ومهما قِيلَ في حقّه، فهو قطرةٌ من بحرٍ، أو ثانيةٌ من دهرٍ؛ لأنّ عظمتَه لا حُدُودَ لكمالِها، ومعنى اسم (اللّه) علمًا – كما قال ابن عبّاسٍ ﷺ – ذو الألوهية والعبودية على خلقِه أجمعين[6].

9) ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾: من الجذر اللّغويّ (هدي)، ومعناه يقوم على أصلين؛ أحدهما "التّقدُّم للإرشاد، والآخر بَعثة لَطَفٍ"[7]، وهما متقاربان في المعنى؛ لذلك فقد ذكر الرّاغب في معنى الهدى أنّ "الهدايَةَ دلالة بلُطف"[8].

والمذكور في الآية (هدى اللّه) هو بمعناه الاصطلاحي، وهو هدايَة اللّه تعالى للإنسان، وقد جعله الرّاغب على أربعة أوجهٍ: "الهدايَة الّتي عمّ بجنسِها كلّ مُكلَّف، و الهدايَة الّتي جعل للنّاس بدعائه إيّاهم على ألسنة الأنبياء، والتّوفيق الّذي يختصّ به من اهتدى، والهدايَة في الآخرة إلى الجنّة"[9].

ومعنى مهتدون في الآية، أي: "إلى البقرة المراد ذبحها، أو إلى ما خفي علينا من أمر القاتل"[10].

---

(1) ابن القيّم، بدائع الفوائد: 1/285.
(2) ابن القيّم، الكافية الشافية، ص: 216.
(3) الاستراباذي، شرح شافية ابن الحاجب: 2/981.
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (أله).
(5) الفيوميّ، المصباح المنير: (لاه).
(6) ابن جرير، جامع البيان: 1/123.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (هدي).
(8) الرّاغب، المفردات: (هدى).
(9) الرّاغب، المفردات: (هدى).
(10) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/98.

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

جاءتِ الآية الكريمة على طريقة المحاورات المحكيّة، وقد بدأ بنو إسرائيل كلامهم - في الطلب إلى موسى عليه السلام - بعد القول بالفعل (ادعُ) الّذي يَحتمل الدّعاء، وهو الطّلب مع الخضوع، ويَحْتَمِلُ أنَّهم أرادوا مُطلَقَ السُّؤال، ويَحْتَمِلُ أنّهم أرادوا النّداء جهرة ظنّاً منهم أنّ الله بعيدٌ مكانُه[1]، وهذا نوع من أنواع تعنتهم المألوفة، فقد كانوا يسلكون هذه المسالك في غالب ما أمرهم الله به، ولو تركوا العنت والأسئلة المتكلَّفة لأجزأهم ذبح بقرة من عَرَض البقر، ولكنهم شدَّدوا فشدَّد الله عليهم.

وكان طلبهم لبيان صفة البقرة الّتي أُمروا بذبحها، وعلّلوا سؤالهم باختلاط البقر عليهم؛ فإنّه متشابه، ولا يمكنهم تمييز المراد منه بحسب زعمهم، فإن تبيّن لهم ما أمروا بفعله طلبوا "منه الهداية بعد أن تاهوا وضاعوا بسبب عنادهم وجدلهم"[2]، وسؤالاتهم لا معنى لها لو أطاعوا الله في مبتدأ أمرهم، وكلامهم هذا "تكرير للسّؤال عن حالها، وصفتها واستكشاف زائد؛ ليزدادوا بياناً لوصفها"[3].

❁ الإِيضَاحُ اللُّغَوِيُّ وَالبَلَاغِيُّ:

قلبُ الجافي يتخيَّرُ الألفاظَ التي تُناسِبُ مقامَه، وتُبرهنُ على حالِه

بلاغة فعل ﴿ٱدْعُ﴾ وبيانُ غرضِه:

الفعل (ادعُ) في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ منَ الدّعاء وهو مقول القول، وهو في حقيقته سؤال، فقد سألوا "موسى أن يسأل ربّه لهم ما كان الله قد كفاهم بقوله لهم: اذبحوا بقرة"[4].

---

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/405.

(2) الشّعراويّ، تفسير الشّعراويّ: 1/395.

(3) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 1/98.

وقال ابنُ أبي حاتمٍ: حدَّثنا أحمدُ بن يحيى الأَوديُّ الصُّوفيُّ، حدَّثنا أبو سعيدٍ أحمدُ بن داوُدَ الحدَّاد، حدَّثنا سُرور بن المغيرة الواسطي بن أخي منصورِ بنِ زاذان، عن عبَّاد بنِ منصور، عنِ الحَسَنِ، عَن أَبِي رافِعٍ، عَن أَبِي هُريرة: قال: قال رسول اللَّه ﷺ «لولا أنَّ بني إسرائيلَ قالوا: وإنَّا إنْ شاء اللَّهُ لَمُهتدون لما أُعطوا أبدًا، ولو أنَّهُمُ اعتَرَضوا بَقَرَةً مِنَ البقر فذبحوها لأجزأت عنهم، ولكن شَدَّدوا، فشدَّدَ اللَّهُ عليهم»، وهذا حديثٌ غريبٌ مِن هذا الوَجهِ، وأحسَنُ أحوالِهِ أن يكونَ مِن كلام أبي هريرةَ كما تقدَّمَ مثلُهُ عن السُّدِّيِّ. يُنظر: ابن جرير، جامع البيان: 2/205.

(4) ابن جرير، جامع البيان: 2/189.

والتّعبير بالفعل (ادع) مجاز مُرسَل، غرضه استعطاف موسى، ومعناه: "سلْ لأجلنا رَبَّكَ الّذي عوّدك ما عوّدك، يُظهر لَنا ما حالها وصفتها"[1].

فالأمر للاستعطاف، والتّعبير بالدّعاء عن السّؤال؛ لأنّه يُناسب جَفوةَ بني إسرائيل وقسوةَ قلوبهم واستكبارهم؛ حيث إنَّ في المسألة خضوعًا وتذلّلًا واستكانةً، كما أنَّ "السّؤال يكون من الأدنى في الرُّتبَة"[2]؛ فعدلوا عن السّؤال إلى الدّعاء؛ لما للدّعاء من اتِّساع في المعنى.

بلاغةُ تقديمِ المُتعلّقِ ﴿لَنَا﴾ على المفعول:

قُدِّم الجارُّ والمجرور (لنا) في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ على المفعول به (ربَّك)؛ وسرّ التّقديم هو طلبُ الاختصاص؛ فكأنّهم أرادوا أن تكون دعوة موسى ربّه مُختصّة بهم لا بغيرهم؛ لأنّهم هم المعنيون بالأمر لا سواهم، ويُعزِّزُ ذلك أنّ اللّام في (لنا) دالّة على الاختصاص، كقولهم: (الجلّ للفرسِ)[3].

طلبُ الاختصاص يدلُّ على الاعتزاز بالذَّاتِ

فائدةُ اختيار لفظ الرّبّ، وسرُّ إضافته إلى ضمير موسى عليه السلام:

أُوثر لفظ الرّبّ في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾؛ لأنّه "النّاظرُ في مصالحهِ ومربّيهِ ومدبّرِ أحوالهِ؛ ليكونَ ذلكَ أطمعَ لهُ، فلذلكَ أتى بصفةِ الرّبّ"[4]، ولأنّ الرّبّ هو المصلح والمسيّر لأحوال العباد، فهي من قبيل تقديم الدَّليل على تحقُّقِ الاستجابةِ، وأضافوا لفظَ الرُّبوبيَّة إلى الضّمير العائد على موسى عليه السلام "لمَا علموا له عند اللَّه مِنَ الخصوصيَّةِ والمَنزِلَةِ الرَّفيعةِ"[5]، وهذا يدلُّ على معرفتِهم بأسباب الاستجابةِ؛ لكنَّها معرفةٌ غير نافعةٍ إن لم تقترن بالتَّزكية!

تقديمُ الدَّليلِ على قبولِ الاستجابةِ دليلُ معرفةٍ محضة

(1) الآلوسّي، روح المعاني: 1/286.
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 37.
(3) السّامرائّي، معاني النّحو: 3/64.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/564.
(5) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/406.

المجازُ في سؤالِهم: ﴿مَا هِيَ﴾ وسرُّ تكرارِها:

طـلـبُ الـصِّـفـةِ لعلمِهم بماهيّة المُنفق

ذُكِرَ سؤالُ (ما هي) في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾، وهو سؤالٌ في الأصل لطلبِ الماهيّة، إلَّا أنّه لا يمكن حمله على طلب الماهيّة حقيقة، فيُحملُ على الطَّلب المجازيّ؛ "فتَعَيَّنَ أن يكونَ المُرادُ منهُ طَلَبَ الصِّفَة الَّتي بها تتميَّزُ تلك البقرةُ عن غيرِها... لمَّا عَلِمْنا أنَّهم كانوا عالِمين بأنّ الّذي أُمِروا بإنفاقِه ما هو"[1]، وآية ذلك أنّ العرب "يسألون بـ(ما) عنِ الصِّفاتِ الَّتي تميِّزُ الشَّيءَ في الجملة كالّذي ذكرَه في الجواب"[2].

وقد أعادوا السّؤال مرّة أخرى بـ(ما هي) في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾؛ لأنَّ هذا سؤال لطلب إيضاح زيادة على ما تقدّم، ككونها عاملة أو سائمة، وإظهار؛ لأنّه لم يحصل لهم تمام البيان، ثم ذكروا السّبب في إعادة السّؤال[3]، ولا ريب أنّ التكرار يُحقّق تناسبًا وترابطًا بين الآية السّابقة والآية التّاليّة.

اللفتةُ البلاغيّةُ في تأخير المُتعلّق ﴿عَلَيۡنَا﴾:

تأخيرُ المُتعلّقِ يفيدُ نفيَ تهمةِ التّقصير، وتعميم التّشابه

أخّر المُتعلّق (علينا) في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ ولم يقدَّم؛ لغرض بلاغيّ، هو نفي التّهمة عنهم، وتعميم التّشابه؛ لأنّه لو قدّمه فقال: (إنّ البقرَ علينا تشابهَ) للزم أن يكون التّشابه عليهم حصرًا؛ فيكون تهمة لهم في عدم إنجاز ما هو مطلوب منهم؛ لأنّ التّقديم يفيد القصر، أمّا في تأخيره فقوله لا يحتمل القصر، فيكون معنى: (تشابهَ علينا)، أي: وعلى غيرنا، فتعميم التّشابه ينفي عنهم تهمة التّفريط والتّقصير فيما أمروا به، فهم يجعلون التَّشابه سببًا في التباسِ الأمرِ عليهم، بقطع النَّظرِ عن الاعتبارات الأخرى.

(1) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 2/246.
(2) محمّد رشيد رضا، تفسير المنار: 1/289.
(3) المَراغيّ، تفسير المَراغيّ: 1/143.

بلاغة الفصل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾:

بيانُ سببِ كثرةِ السُّؤالِ دليلٌ على معرفتِهم بتحايلِهم وسوءِ امتثالِهم

قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ استئنافٌ بيانيٌّ يُرادُ منه التّعليلُ والاعتذار؛ فهو بيانٌ لعلّة سؤالهم المكرر قبلها؛ "لأنّهم عَلِموا أنّ إعادَتَهُمُ السُّؤالَ تُوقِعُ في نَفس موسى تساؤلًا عَن سبب هذا التَّكرير في السُّؤال، وقولُهُم: إنَّ البقرَ تشابهَ علينا اعتذارٌ عن إعادةِ السُّؤال"[1]، وجاء اعتذارُهم الضّمنيّ هنا؛ لأنّ تَكرار السّؤال ثلاث مرّاتٍ فيه وقعٌ ممزوجٌ بالسّآمة والإملالِ في نفس السّامع، وهو هنا موسى عليه السلام، وهو يدلُّ على معرفة القومِ بتحايلِهم على الأمرِ، وسوء امتثالِهم للمطلوبِ منهم.

فائدةُ التّوكيدِ تعليلُ السُّؤالِ

صُدِّر قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيۡنَا﴾ بحرف التّوكيد (إنّ)، ومجيئه للاهتمام "ثمّ يُتَوَسَّلُ بالاهتمام إلى إفادة معنى التَّفريع والتَّعليل؛ فتفيدُ (إنَّ) مفاد فاءِ التَّفريعِ والتَّسَبُّب"[2]؛ فهم يذكرون علَّة تَكرارِ سؤالِهم، وهو التَّشابه.

غرضُ التّوكيد في قولِه: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾:

جاء في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ مُؤكّدات عدّة؛ الأوّل تصديرها بـ(إنّ) المؤكّدة الدّاخلة على الاسم، والثّاني: اللّام الدّاخلة على الخبر[3]، فضلًا عن مجيء "خبر (إنَّ) اسمًا؛ لأنّه أدَلُّ على الثُّبوت، وعلى أنّ الهدايةَ حاصلةٌ لهم"[4].

فائدةُ توسيطِ فعل المشيئة بين اسمِ إنَّ وخبرِها:

وعدٌ بالانقيادِ، واعترافٌ ضمنيٌّ بالنَّدمِ

ذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهۡتَدُونَ﴾ فعل المشيئة، وهو دالٌّ على الوعدِ بالانقيادِ وإشعارٌ بالنَّدم، بين اسم إنَّ وخبرِها ﴿لَمُهۡتَدُونَ﴾، "وتقديرُ الكلام: وإنَّا لَمُهتَدونَ إنْ شاءَ اللّه، فَقُدِّمَ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/554.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/554.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 1/189.
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/411.

على ذِكرِ الاهتداء اهتمامًا به"[1]، وهو دالّ على صدق دعواهم، "ولو كان تَعليقًا مَحضًا لمَا احتيجَ إلى تأكيدٍ، ولكنَّه على قول القائل: أنا صانِعٌ كذا إنْ شاء اللَّه، وهو مُتلبِّسٌ بالصُّنعِ"[2] فكأنّهم قالوا: لقد اهتدينا إلى ما أمرتنا به، بل نحن مُتلبّسون به فعلاً، ويؤيّد هذا الاهتمام أنّه مُكتنفٍ بين توكيدَين؛ هما (إنّ) في الاسم، واللّام ﴿لَمُهْتَدُونَ﴾ في الخبر، فضلاً عن موافقة رؤوس الآيات.

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الدّعاء والسّؤال:

في قوله: ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ﴾ بمعنى: سلْه، وأصل الدُّعَاء طلب الفِعل، والدُّعاء يكون برفعِ الصَّوت وخفضه، يُقال: دَعوته من بعيد، ودعوت اللّه في نَفسِي.

ويظهر الفرق بينهما في أنَّ السّؤال هو استدعاء معرفَة أو ما يُؤدِّي إلى المعرفة، والسُّؤال يكون طلب الخَبَر، وطلب الأمر والنَّهي، وهو أن يسأل السَّائل غَيره أَن يأمُرهُ بالشّيء أو ينهاه عنه، والسّؤال يكون من الأدنى في الرُّتبَة[3].

فاستعمال ﴿ٱدْعُ﴾ بدلًا من (سلْ) أنسب للسّياق؛ حيث اتِّساقُه مع طلبهم من موسى عليه السلام بيان صفة البقرة المأمورين بذبحها، مع الإشارة إلى استنكافهم، وعدم تصديقهم موسى عليه السلام، فلو قالوا: سل لنا ربَّك، لظهر جهلهم، وخضوعهم.

البيان والهدى:

في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ﴾ آثر البيان القرآنيّ لفظ (يبيّن) هنا، في حين استعمل لفظ (يهدي) في مواضع أُخَر، كقوله: ﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾ [ص: 22]؛ لأنَّ البيانَ في الحقيقةِ إظهارُ المَعنى للنَّفس كائنًا ما كان، فهو من قبيل القَول. والهدى بَيَان طريق الرّشد؛ ليُسْلك دون طَريق الغيّ إذا أطلق، فإذا قُيّد استُعمل في غيره فقيل: هدى إلى النّار وغيرها، فقوله: ﴿يُبَيِّن لَّنَا﴾ يناسب مقام الاسترشاد المُتعلّق بسؤالهم؛ لأنّهم في حاجة إلى إجابة قوليّة واضحة[4].

(1) القُرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 2/188.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/411.
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 37.
(4) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 172.

التَّبيين والتَّعريف:

قوله تعالى في الآية ﴿يُبَيِّن﴾ مُشتقّ من البين الدّالّ على المسافة بين أمرين.

ولم يعبّر بالفعل (يعرّف) من التّعريف على الرّغم من أنّ "التّبيين كالتّعريف، إلاّ أنّ التّبيين يقتضي إظهار الفضل بين الشّيء وغيره، والتّعريف قد يكون إظهار الشّيء في نفسه من دون اعتبار بغيره"[1]، وثمّة فرق آخر وهو أنّ "لفظَ المعرفة يُفيد تَمييز المَعلوم من غيره"[2].

فالتّعريف بيان الماهيّة والذّات، وهو غير مراد في الآية، فهم لم يُريدوا تَبيينَ ماهيَّةِ البقرةِ، ولكنَّهم أرادوا الوَصفَ؛ فحسُن التّعبير بالفعل (يبيّن)، ولم يحسن بالفعل (يعرّف).

(1) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 1/224.

(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 80.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأول، من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة [إشراف مجمع القرآن الكريم،
قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 1 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-52-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 1 : من سورة الفاتحة إلى الآية 97 من سورة البقرة.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-52-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9609262 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»